جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الدراسات العليا – مرحلة الماجستير

عنوان المحاضرة

المقاومة العربية للغزو الإيلخاني في العراق

اعداد

الأستاذ المساعد الدكتور احمد عماش عبدالله الحياني

2026-2025

المقاومة العربية للغزو الإيلخاني في العراق

مقدمة

يُعد الغزو المغولي للعراق من أخطر الأحداث التي شهدها تاريخ المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث عشر الميلادي، إذ أدى سقوط بغداد سنة ١٢٥٨م إلى انهيار الخلافة العباسية وفتح مرحلة جديدة من تاريخ العراق اتسمت بالهيمنة الإيلخانية على البلاد. وعلى الرغم من القوة العسكرية الهائلة التي امتلكها المغول وما رافق دخولهم العراق من أعمال قتل وتدمير واسعة، فإن المجتمع العراقي لم يستسلم بصورة كاملة لهذا الاحتلال، بل ظهرت أشكال متعددة من المقاومة تمثلت في انتفاضات المدن والحصون، فضلاً عن الدور البارز الذي قامت به القبائل العربية في مواجهة السلطة الإيلخانية والحد من نفوذها. وتكتسب دراسة هذه المقاومة أهمية كبيرة لأنها تكشف عن قدرة المجتمع العراقي على التكيف مع الظروف الصعبة والمحافظة على هويته السياسية والاجتماعية رغم التحديات الكبرى التي فرضها الاحتلال المغولي.

أولاً: مقاومة المدن العراقية للاحتلال الإيلخاني

عندما تمكن المغول من احتلال بغداد وإسقاط الخلافة العباسية، ساد الاعتقاد بأن بقية المدن العراقية سوف تخضع سريعاً نتيجة ما تناقلته الأخبار عن القوة العسكرية المغولية وأساليبها القاسية في التعامل مع المدن المقاومة. إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك، إذ شهدت العديد من المدن العراقية حركات مقاومة عسكرية أظهرت تمسك السكان بالدفاع عن أراضيهم.

كانت مدينة واسط من أبرز المدن التي أبدت مقاومة قوية للغزاة، فقد واجه أهلها القوات المغولية بشجاعة كبيرة رغم الفارق الواضح في الإمكانات العسكرية والعددية. واستمرت المواجهات لفترة طويلة نسبياً وأسفرت عن خسائر بشرية كبيرة بين السكان، مما يعكس حجم التضحيات التي قدمها العراقيون دفاعاً عن مدنهم في مواجهة الاحتلال.

أما مدينة أربيل فقد شكلت نموذجاً متميزاً للمقاومة العسكرية المنظمة. إذ تمكن سكان القلعة من الصمود أمام الحصار المغولي لفترة طويلة، ورفضوا الاستسلام رغم الضغوط المتواصلة. كما نفذ المدافعون عمليات هجومية ناجحة ضد القوات المحاصرة، تمكنوا خلالها من إلحاق خسائر بالمغول وإحراق بعض معداتهم العسكرية. وقد أدى هذا الصمود إلى عجز القادة المغول عن اقتحام القلعة بالقوة المباشرة، الأمر الذي يؤكد فعالية المقاومة المحلية وقدرتها على تعطيل التقدم العسكري للمحتل.

كذلك شهدت مدينة الموصل واحدة من أبرز حركات التمرد ضد الحكم المغولي بعد وفاة بدر الدين لؤلؤ. فقد أعلن الملك الصالح إسماعيل رفضه للسيطرة الإيلخانية واتخذ إجراءات دفاعية واسعة شملت تحصين المدينة وإغلاق أبوابها وتنظيم قواتها العسكرية. واستطاع سكان الموصل الصمود أمام الحصار المغولي فترة طويلة، واستخدموا المنجنيقات والأساليب الدفاعية المختلفة لمواجهة المهاجمين. ورغم التفوق العسكري للمغول فإنهم تكبدوا خسائر كبيرة خلال محاولاتهم المتكررة لاختراق أسوار المدينة.

وتبرز أهمية هذه المقاومات الحضرية في أنها أثبتت أن السيطرة العسكرية على بغداد لم تكن كافية لإخضاع العراق بأكمله، وأن المدن العراقية احتفظت بقدر من الاستقلالية والقدرة على التنظيم الذاتي في مواجهة الاحتلال.

ثانياً: القبائل العربية ودورها في المقاومة

لم تقتصر مقاومة الإيلخانيين على المدن والحصون، بل امتدت إلى القبائل العربية التي مثلت إحدى أهم القوى العسكرية والاجتماعية في العراق وبلاد الشام. فقد احتفظت القبائل العربية بقوتها وتنظيمها العسكري رغم التغيرات السياسية التي شهدتها المنطقة، وأصبحت تمثل قوة احتياطية مهمة في مواجهة الأخطار الخارجية.

بعد سقوط بغداد تعرضت القبائل العربية لضغوط كبيرة من قبل المغول، الأمر الذي دفعها إلى الانسحاب نحو المناطق الصحراوية والريفية، حيث استطاعت استثمار طبيعة تلك المناطق في تنظيم عمليات مقاومة مستمرة ضد القوات المحتلة. وقد ساعدتها خبرتها الجغرافية ومعرفتها بمسالك الصحراء على تنفيذ هجمات مفاجئة ضد القوات المغولية وإعاقة حركتها في العديد من المناطق.

ومن أبرز القبائل التي أدت دوراً مهماً في المقاومة قبائل ربيعة والفضل، التي امتدت مناطق نفوذها من بلاد الشام إلى أجزاء واسعة من العراق. وقد تمكنت هذه القبائل من فرض سيطرتها على مساحات كبيرة من غرب العراق، مما حدّ من قدرة السلطة الإيلخانية على بسط نفوذها الكامل على تلك المناطق.

كما أسهمت القبائل العربية في حماية طرق التجارة والمواصلات، وهو أمر بالغ الأهمية في تلك المرحلة؛ لأن استمرار النشاط التجاري ساعد على المحافظة على الحد الأدنى من الاستقرار الاقتصادي. وأصبحت القبائل طرفاً مؤثراً في الصراع الإقليمي بين الإيلخانيين والمماليك، حيث حاول كل طرف استمالتها للاستفادة من قوتها العسكرية وموقعها الجغرافي.

ثالثاً: القبائل العربية والصراع المملوكي الإيلخاني

شكّل الصراع بين دولة المماليك والإيلخانيين عاملاً مهماً في تعزيز دور القبائل العربية. فقد أدرك المماليك أهمية هذه القبائل باعتبارها خط الدفاع الأول في المناطق الصحراوية، ولذلك سعوا إلى توثيق علاقاتهم بزعمائها ومنحوهم امتيازات متعددة مقابل التعاون العسكري والأمني.

برزت قبيلة آل فضل الطائية بوصفها إحدى أهم القوى العربية في تلك المرحلة. وقد شارك أبناؤها في عدد من المواجهات العسكرية ضد المغول، وكان لهم دور ملحوظ في معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠م التي شكلت نقطة تحول مهمة في تاريخ المنطقة، إذ أسهمت في إيقاف التوسع المغولي نحو بلاد الشام ومصر.

كما شاركت القبائل العربية في عمليات الاستطلاع وجمع المعلومات الاستخبارية ونقل الأخبار عن تحركات القوات المغولية، وهو ما وفر للمماليك معلومات استراتيجية مهمة ساعدتهم في التخطيط العسكري. ولم يقتصر دورها على القتال المباشر، بل امتد إلى حماية الحدود وتأمين طرق الحج والتجارة.

ومع ذلك لم تكن علاقة القبائل العربية بالمماليك أو الإيلخانيين ثابتة دائماً، إذ اتسمت أحياناً بالمرونة السياسية التي هدفت إلى المحافظة على مصالحها الذاتية. فقد سعى بعض زعماء القبائل إلى تحقيق توازن في علاقاتهم مع الطرفين للحصول على الامتيازات والحفاظ على نفوذهم المحلي، وهو ما يعكس مستوى عالياً من الوعي السياسي لدى القيادات القبلية.

رابعاً: أثر المقاومة العربية في إضعاف النفوذ الإيلخاني

أسهمت المقاومة العربية، سواء في المدن أو في البادية، في الحد من قدرة الإيلخانيين على تحقيق سيطرة كاملة ومستقرة على العراق. فقد أجبرت هذه المقاومة السلطات المغولية على تخصيص قوات كبيرة لحماية الطرق والمدن وإخماد الثورات المتكررة، الأمر الذي استنزف جزءاً من مواردها العسكرية والاقتصادية.

كما أدت المقاومة المستمرة إلى بقاء مساحات واسعة من العراق خارج السيطرة الفعلية للمغول، وخاصة في المناطق الصحراوية والريفية التي كانت القبائل العربية تفرض نفوذها عليها. وأصبحت السلطة الإيلخانية مضطرة إلى التعامل مع القبائل باعتبارها قوة سياسية وعسكرية قائمة بذاتها لا يمكن تجاهلها.

ومن الناحية الاجتماعية ساعدت المقاومة على الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للمجتمع العراقي، إذ مثلت تعبيراً عن رفض الاحتلال الأجنبي وتمسك السكان بقيمهم الدينية والثقافية. كما حافظت على استمرارية الروابط الاقتصادية

والاجتماعية بين العراق وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية رغم الظروف السياسية المضطربة.

الاستنتاجات

١. **لم يؤدِ سقوط بغداد سنة ١٢٥٨م إلى إنهاء المقاومة العراقية ضد المغول، بل ظهرت أشكال متعددة من المقاومة في مختلف المدن والمناطق.**

٢. **أثبتت مدن واسط وأربيل والموصل قدرة كبيرة على الصمود العسكري رغم التفوق العددي والتنظيمي للقوات المغولية.**

٣. **لعبت القبائل العربية دوراً محورياً في استمرار المقاومة بعد سقوط المدن الكبرى.**

٤. **أسهمت البيئة الصحراوية في توفير ملاذ آمن للقبائل العربية ومكنتها من مواصلة عملياتها العسكرية ضد الاحتلال.**

٥. **نجحت القبائل العربية في الحد من النفوذ الإيلخاني في مناطق واسعة من غرب العراق.**

٦. **شكلت قبائل آل فضل الطائية نموذجاً بارزاً للمشاركة العربية في مقاومة المغول ودعم المماليك.**

٧. **كان للقبائل العربية دور مهم في حماية طرق التجارة والحج والمحافظة على التواصل بين أقاليم المشرق العربي.**

٨. **ساعدت المقاومة العربية في استنزاف القدرات العسكرية والاقتصادية للإيلخانيين.**

٩. **أظهرت القبائل العربية مرونة سياسية مكّنتها من المحافظة على نفوذها في ظل الصراع بين المماليك والإيلخانيين.**

١٠. **اسهمت المقاومة العربية في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للعراق ومنعت ترسيخ السيطرة الإيلخانية بصورة كاملة ودائمة.**